سيدة في وجهها حكاية

سيدة في وجهها حكاية

قبل الفجر، هبت ريح حملت معها بردا قارسا، وصوتا غريبا مثل الهدير، ضربت الأغصان وبعثرت ثلج الحور في الهواء، وراحت تلاعب ستارة بيضاء مطرزة بعناية بشبكة معقدة من الخيوط الزرقاء، موضوعة على نافذة صغيرة مدهونة بلون سماوي، في غرفة بابها أزرق، ظل مغلقًا حتى ما بعد السابعة موعد خروج السيدة!

لذلك، لم تهدأ قطط الحي المعنية الوحيدة بل بدأت تتجمع أمام الباب مطلقة مواءها القلق والحاد، غير أنه ظل عنيدًا مغلقًا من دون مجيب.

ليس في الأمر لغز، فمنذ أكثر من سنتين، بل منذ أن سكنت هذه السيدة في هذه الغرفة، أخذت القطط تصل رويدًا رويدًا من أمكنة بعيدة وراحت تتجمع في القرب من هذا الحي المعزول والمبني عشوائيًّا في بستان قرب الشام.

سيدة تتشح السواد، قلما تضحك، تظهر في وجهها حكاية لم تحكها لأحد قط، وتفضل عشرة الحيوانات على عشرة البشر.

في كل يوم، تذهب إلى عملها عند السابعة، وتعود في الثالثة بعد الظهر حاملة أكياسًا، تفتح كيسًا وتأخذ برمي اللحوم إلى القطط التي تحوم حولها طالبة الطعام. منذ أكثر من سنتين، لم تنقطع يومًا واحدًا، بينما القطط تتزايد وتستوطن في البستان يومًا بعد يوم حتى تشكل قطيع كبير يثير الرعب في وجوه المارين.

صارت القطط ترصدها عندما تروح وعندما تعود فتمشي خلفها بأعداد كبيرة حتى تركب في الميكرو الذي يقلها إلى عملها، وعندما

ترجع، تلحقا أيضا وإن لم يكن معها شيء من اللحوم تلقي بها إليهم، حتى تدخل إلى خرفتها وتغلق الباب.

أثارت هذه الظاهرة قلق سكان الحي؛ فيمكن لهذه القطط أن تتوحش فتؤذي الأطفال، أو يمكن أن تجلب الأمراض. قرروا أن يتكلموا معها في الأمر وطلبوا منها عدة مرات أن تتوقف عن رمي اللحوم لهم.

لم يكن ردها إلا تأكيدًا بأن الإيذاء والضرر لا يمكن أن يأتي إلا من الإنسان وحده، بهذا الرد الذي كان على رأس لسانها تقطع المحادثة بعد أن تقف مودعة، وتصرف القادمين للوساطة. فقرروا أن يشتكوا للشرطة، فكانت النتيجة باطلة لأن القانون لا يعاقب من يطعم قططا شاردة.

إذن، لم تخرج السيدة في موعدها! الأطفال الذاهبين إلى مدارسهم يتراجعون إلى البيوت مستنجدين.

على الفور، خرج عدد من الرجال حتى يطردوا القطط، فلم يفلحوا، بل عادوا أكثر خوفا من أولادهم. لقد حدث ما كان متوقعا، فهذه السيدة ساحرة شريرة استطاعت أن تؤلب معشر القطط عليهم، فلملمت كل امرأة أطفالها، ثم أغلقت بابها بإحكام.

راح الرجال يتشاورون في هذه الظاهرة الشاذة، ماذا يفعلون؟ اقترح بعضهم إطلاق الرصاص عليهم، فلم تلاق هذه الفكرة قبولا لأن كل القطط لا يساوي ثمنها ثمن رصاصة واحدة، فاقترح غيره مهاجمة القطط بالعصي وقتلها، فتخوفوا من أن يكون، بين القطط حيوانات متوحشة نمس أو ما شابه، خاصة وأن الساحرة كانت تطعمهم اللحوم النيئة، فذلك يثير بهم غريزة الافتراس والقتل.

أخيرا، تقرر إحراق البستان إنها أرخص طريقة وأكثرها فائدة، فمن عادات القطط أنها تخاف من النار والحرائق.

قاموا للعمل على الفور، جلبوا مازوت وكاز وما كان متوفرامن الوقود، اجتمعوا في مكان واحد وراحوا يهيئون خطة لإحراق البستان.

انتبهت جارة السيدة إلى أنها لم تخرج إلى عملها، فغامرت بالخروج ومعها ما يكفي من اللحم لإسكات القطط وإبعادها حتى تسترق نظرة من خلال النافذة وتتأكد من وجودها، وتركت النافذة ورجعت هاربة، فأخبرت الرجال الذين كانوا يتهيأون للبدء بعملهم.

ولم يلبث أن جاء الرجال باللحوم لرميها للقطط حتى تسكت، ووقفوا ينتظرون.

أتى بعدها شيخ معه مسبحة طويلة في سيارة من مكتب دفن الموتى، مزقوا الستارة وكسروا الباب ، ثم خرجوا بالتابوت ومضت السيارة على الطريق الترابي على مهل، ومشت القطط التي لم ينقطع مواؤها الحزين الباكي في موكب التشييع.

ولما أمن السكان لابتعاد القطط الشريرة، وموت ساحرتهم، هاجموا غرفتها ونهبوها عن آخرها، لم يُبقوا بها شيئًا ذا فائدة إلا وصادروه، ثم أحرقوا الغرفة ذهبوا فرحين.

ومنذ هذه اللحظة، سترحل القطط إلى مكان آخر، ستبحث بكل ما تستطيع عن سيدة تتشح السواد، قلما تضحك، في وجهها حكاية لم تروها لأحد، وتفضل عشرة الحيوانات على عشرة البشر.